الفصل الثانى

شيوخ ابن إسحاق

عبد الله بن أبى بكر بن حزم

فى الجيل التالى للتابعين ، بين العدد الكبير من علماء الحديث ثلاثة رجال يستحقون أن نذكرهم ، وننوّه بهم فى هذا الموضع ، لأنهم وجهوا عنايتهم الخاصة إلى المغازى ، وهم : عبد الله بن أبى بكر بن محمد ، وعاصم ابن عمر بن قتادة ، ومحمد بن مسلم الزهرى ؛ وهؤلاء الثلاثة جميعهم من أكبر شيوخ ابن إسحاق ، وجميعهم من أتباع مدرسة المدينة .

ولد عبد الله بن أبى بكر من أسرة مَدَنية ، خدم أجدادها الإسلام فى عهد النبى خدمات كبيرة ، فقد أرسل النبى جد عبد الله الأكبر إلى اليمن [1] ، وعهد إليه فى تعليم أهلها وتفقيههم فى الدين ، وبقى هناك واليا للنبى على نجران [2] .

---

(١) ابن هشام ٤ : ٢٤١ : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم .

(٢) الطبرى ١ : ١٨٥٢ : وكان فيمن بعث النبى صلى الله عليه وسلم مع عمال اليمن فى سنة ١٠ بعد ما حج حجة التمام ، وقد مات باذام ، فلذلك فرق عملها بين شهر ابن باذام ، وعامر بن شهر الهمدانى . وعبد الله بن قيس أبى موسى الأشعرى ، وخالد بن سعيد بن العاص ، والطاهر بن أبى هالة ، ويعلى بن أمية ، وعمرو بن حزم .. ويقول الطبرى أيضا ١ : ١٩٨٢ : توفى رسول الله . . . وعلى نجران وأرضها عمرو بن حزم .

وتوفى جـد عبد الله ، محمد بن عمرو ، فى يوم الحَرة[١] (٦٣ هـ) حين هزم الأمويون أهل المدينة . ووقف مروان بن الحكم ، الذى صار الخليفة فيما بعد ، عليه حين رآه مطروحا فى الميدان فى ذلك اليوم ، فقال : «رحمك الله فرُبَّ سارية قد رأيتك تطيل القيام فى الصلاة إلى جنبها !» . ثم كان أبوه أبو بكر قاضيا فى المدينة من عام ٨٦ هـ ، العام الذى تولى فيـــه عمر بن عبد العزيز المدينة[٢] ، واشتهر بتبحره فى الفقه[٣] الذى أخـذه عن أبان ابن عثمان[٤] . وقلده الخليفة سليمان فى عام ٩٦هـ ، ولاية المدينة[٥] إلى جانب القضاء ، تلك الولاية التى لم يتقلدها قبـله أحد من أهل المدينة فى عصر الأمويين[٦] ، ولـكنه احتفظ بها طول عهد عمر الثانى[٧] ، وعزله عنها

---

(١) الطبرى ٢ : ٤١٧ .

(٢) الطبرى ٢ : ١١٩١ : وكان على قضاء المدينة فى هـذه السنة (يعنى سنة ٨٧) أبو بكر بن عمرو بن حزم من قبـل عمر بن عبد العزيز . ويقول الطبرى ٢ : ١٢٥٨ : عثمان [بن حيان] قدم المدينة أميرا عليها سنة ٩٣ . . . فاستقضى أبا بكر بن حزم .

(٣) الذهبى (ت . فيشر : تراجم ٩٠) وقال ابن وهب عن مالك : لم يكن أحد بالمدينة عنده من علم القضاء ما كان عند أبى بكر بن حزم . وانظر أيضا ابن حجر ١٢ : ٣٩ .

(٤) الذهبى ٩٠ : وقال عبد الله بن أبى بكر بن حزم إن أباه كان يتعلم القضاء من أبان بن عثمان .

(٥) الذهبى ٨٩ : ولى القضاء والإمرة والموسم على المدينة لسليمان ولعمر بن عبد العزيز . وانظر أيضا الطبرى ٢ : ١٢٨٢ ، ١٣٠٥ .

(٦) ابن حجر ١٢ : ٣٩ : ولم يكن بالمدينة أنصارى أمير غير أبى بكر بن حزم ، وكان قاضيا .

(٧) الطبرى ٢ : ١٣٤٦ : وحج بالناس فى هـذه السنة (يعنى سنة ٩٩) أبو بكر محمد بن عمرو بن حزم ، وكان عامل عمر على المدينة . . . ويقول أيضا فى ١٣٥٨ : وحج بالناس فى هذه السنة (يعنى سنة ١٠٠) أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم .

يزيد الثانى[١] : ولكنه بقى قاضيا مدة طويلة فى عهد الوالى الجديد[٢] ، الذى لم يكن على علاقات طيبة معه ، والذى ضربه ذات مرة[٣] . وتقلد أبو بكر فيما بعد ، فى عام ١١٨ هـ ، ولاية المدينة مرة أخرى لبضعة أيام[٤] . وتوفى عام ١٢٠ هـ ، أو قبل ذلك ببضعة أعوام[٥] . وتسلم أبو بكر ، الذى لاحظ حب ابنه لدراسة الحديث ونصحه بمقارنة عجز كل حديث بصدره[٦] ، تسلم من عمر الثانى الرسالة التالية : « انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سُنَّة ماضية ، أو حديث عَمرة بنت عبد الرحمن ، فاكتبه ، فإنى قد خفت دروس العلم وذهاب أهله » . وكانت عمرة المذكورة هنا تعرف الأحاديث ، وخاصة التى رويتها عائشة زوج النبى[٧] عن

---

(١) الطبرى ٢ : ١٣٧٣ : عن أبى بكر بن حزم أنه قال : لما قدم عبد الرحمن ابن الضحاك المدينة وعزلنى ، دخلت عليه ... الخ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٣٧٣ : فلم يزل الأمر يترقى بينهما حتى خاصم إليه رجل من بنى فهر وآخر من بنى النجار ، وكان أبو بكر قضى للنجارى .

(٣) الطبرى ٢ : ١٤٥٢ : قال الزهرى : فلم يأخذ بشىء من ذلك ، وعادى الأنصار طرا ، وضربه أبا بكر بن حزم ظلما وعدوانا فى باطل .

(٤) الطبرى ٢ : ١٥٩٢ : ذكر الواقدى أن أبا بكر بن عمرو بن حزم يوم عزل خالد عن المدينة جاءه كتاب بإمرته على المدينة ، فصعد المنبر ، وصلى بالناس ستة أيام ، ثم قدم محمد بن هشام من مكة عاملا على المدينة .

(٥) الذهبى ٩١ : قال الهيثم بن عدى ويحيى بن بكير وأبو مصعب : مات سنة سبع عشرة ومئة . وقال الواقدى وابن سعد وجماعة : مات سنة عشرين ومئة .

(٦) الذهبى ٩١ : وكان يقول لابنه عبد الله : إنى أراك تحب الحديث وتجالس أهله ، فلا تستقبل صدر حديث [إلا] إذا سمعت عجزه ، استدل بأعجازها على صدورها .

(٧) ابن سعد ٢ : ١٣٤ : كتب عمر بن عبد العزيز إلى أبى بكر بن محمد ابن عمرو بن حزم « أن انظر ما كان من حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أو سنة ماضية ، أو حديث عمرة بنت عبد الرحمن . فاكتبه ، فإنى قد خفت دروس العلم ، =

طريق اتصالها بها ، وكان لأبى بكر فرصة طيبة للأخذ عنها ، بسبب أنه ابن أخيها[١] . ومع ذلك لم توجد هذه المدونات التى كتبت بأمر عمر الثانى ، حتى فى الجيل التالى[٢] . وتقلد أحد أبناء أبى بكر ، المسمى محمد بن أبى بكر ، الذى توفى عام ١٣٢ ، القضاء فى المدينة[٣] كأبيه .

أما ابنه الآخر ، عبد الله بن أبى بكر ـ الذى قدمنا من أجله كل هذه الأخبار عن أقاربه ـ فقد ابتعد عن الأعمال الرسمية ويخبرنا الزهرى (الذى يقول عنه إنه ليس له مثيل فى المدينة كلها) أن المكان الذى وصل إليه أبوه هو الذى يمنعه أن يرتفع ذكره ، مادام أبوه حيا[٤] . ولم يعش عبد الله بعد أبيه إلا نحو عشرة أعوام إلى خمسة عشر ، وتوفى عام ١٣٠ أو ١٣٥هـ[٥] ويتجلى التعارض الذى وُجد بين ممارسة القضاء ، الذى يُعْنَى بما يجمع عليه

= وذهاب أهله» . ويقول ابن حجر ١٢ : ٣٩ : عن ابن وهب عن مالك ، وكان . . . ولاه عمر بن عبد العزيز ، وكتب إليه أن يكتب له من العلم من عند عمرة بنت عبد الرحمن والقاسم بن محمد . . . .

(١) ابن حجر ١٢ : ٤٣٨ : عمرة بنت عبد الرحمن بن سعد بن زرارة الأنصارية المدنية ، كانت فى حجر عائشة ، روت عن عائشة ، وأختها لأمها أم هشام بنت حارثة بن النعمان ، وحبيبة بنت سهل . . . الخ .

(٢) ابن حجر ١٢ : ٣٩ : فسألت ابنه عبد الله بن أبى بكر عن تلك الكتب فقال : ضاعت .

(٣) الطبرى ٣ : ٢٥٠٥ : ومحمد بن أبى بكر بن محمد بن عمرو بن حزم وكان قاضيا بالمدينة . . . يقضى فى المسجد . . . توفى سنة ١٣٢ فى أول دولة بنى العباس ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة .

(٤) ابن حجر ٥ : ١٦٥ : عن مالك أخبرنى ابن عنزابة قال : قال لى ابن شهاب : من بالمدينة ؟ (يعنى فأجابه) فقال ابن شهاب : ما ثم مثل عبد الله بن أبى بكر ، ولكنه يمنعه أن يرتفع ذكره مكان أبيه أنه حى .

(٥) نفس المرجع : توفى سنة خمس وثلاثين ومئة ، ويقال سنة ثلاثين وهو ابن سبعين سنة .

أهل المدينة من عمل ، وبين مطالب الحديث، يتجلى هذا التعارض فى حديث دار بين عبد الله وأخيه محمد القاضى[١] . «فكان إذا قضى بالقضاء مخالفا للحديث ، ورجع إلى منزله ، قال له أخوه عبد الله بن أبى بكر ـ وكان رجلا صالحا ـ « أى أخى ، قضيت اليوم فى كذا وكذا بكذا وكذا » . فيقول له محمد : « نعم ، أى أخى» ، فيقول له عبد الله : « فأين الحديث ، أى أخى ، عن الحديث أن يقضى به ؟ ! » فيقول محمد : « أيهات ، فأين العمل ؟ » يعنى ماأجمع عليه من العمل بالمدينة ، والعمل المجتمع عندهم أقوى من الحديث » .

ونستطيع من مقتبسات ابن إسحاق والواقدى وابن سعد والطبرى أن نصور نشاط عبد الله بين رواة الحديث إلى حد ما ، فيما يختص بالمغازى . ونعرف من الفهرست[٢] أن ابن أخى عبد الله ، واسمه عبد الملك بن محمد القاضى المذكور آنفا ، والذى كان قاضيا أيضا وتوفى عام ١٧٦ هـ ، قد ألف « كتاب المغازى » ؛ ومن المحتمل أن هذا الكتاب الذى يبدو أنه لم يبق له أى أثر ، كان يتألف من المجموعة التى أخذها عن عمه ، كما يروى أحد إخوة عبدالملك هذا ، واسمه عبدالرحمن ، الأخبار عن عمه[٣] كثيرا عند

---

(١) الطبرى ٣ : ٢٥٠٥ .

(٢) الفهرست ٢٢٦ : عبد الملك بن محمد بن أبى بكر بن عمرو بن حزم الأنصارى ، وتوفى سنة ست وسبعين ومئة ببغداد ، وكان قاضيا بها لهارون. وله من الكتب : كتاب المغازى . ويقول ابن سعد ٧ق٢ : ٦٨ عنه : وكان قليل الحديث .

(٣) أخطأ فهرست ولهوزن وسماه عبد الرحمن بن أبى بكر بدلا من عبدالرحمن ابن محمد بن أبى بكر .

الواقدى . ولم تقتصر أقوال عبد الله على المغازى بالمعنى الخاص للكلمة : فقد عنى أيضا بشباب النبى وأعوامه الأولى ، ولكن اسمه يظهر فى غالب الأحيان فى أخبار الغزوات ، ووجه عنايته أيضا إلى « الوفود » : (وفود القبائل العربية على النبى) ، وروى أخبارا عن ردة القبائل العربية بعد وفاة النبى ، وعن حوادث خاصة فى العقد التالى ، عن الأيام الأخيرة للخليفة عثمان مثلا[١] . وكان بيت أسرة عبد الله بجوار البيت الذى لقى فيه الخليفة حتفه[٢] ، وكان جده الأكبر يعرف الحوادث التى أدت إلى مقتل الخليفة[٣] . ويذكر عبد الله كثيرا من أخباره دون ذكر للرواة ، وفى أحوال أخرى يذكر أسماءهم ؛ فلم يكن يرى الإسناد واجبا بعد . وينتهى طرَف من أخباره إلى عمرة خالته الكبرى ، أخذها عنها مشافهة ، وعن طريق زوجه فاطمة ، التى أخذتها مباشرة عن عمرة[٤] .

ويجدر بنا أن نذكر الطريقة التى حصل بها ابن إسحاق ، وهو تلميذ

---

(١) الطبرى ١ : ٣٠٦٠ : قال محمد : وحدثنى عبد الرحمن بن عبد العزيز عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم ، قال : جاء المؤذن إلى عثمان فآذنه بالصلاة ، فقال : لا أنزل أصلى ، اذهب إلى من يصلى . . . الخ .

(٢) الطبرى ١ : ٣٠٠٥ : فلم يزل الناس يقتتلون حتى فتح عمرو بن حزم الأنصارى باب داره ، وهو إلى جنب دار عثمان بن عفان .

(٣) الطبرى ١ : ٢٩٨٩ : وخرج عمرو بن حزم الأنصارى حتى أتى المصريين ، وهم بذى خشب ، فأخبرهم الخبر ، وسار معهم حتى قدموا المدينة . . . الخ . وانظر أيضا الطبرى ١ : ٣٠٠١ ، ٣٠٢١ .

(٤) ابن هشام ٤ : ٣١٤ : قال ابن إسحق : وحدثنى عبد الله بن أبى بكر ، عن امرأته فاطمة بنت عمارة ، عن عمرة بنت عبد الرحمن بن أسعد بن زرارة ، عن عائشة .

لعبد الله ، على أحد هذه الأحاديث من عمرة ، لنلقى الضوء على اختلاط النساء بالرجال فى تلك الأيام .

يَروى ابن إسحاق[١] أنه عند مادخل على عبد الله أمر الأخير زوجه فقال : « حدثنى محمدا ماسمعت من عَمرة بنت عبد الرحمن» ، وعندئذ روت أقوالها . أضف إلى ذلك ، أنه حدث أحيانا ، أن عبد الله لم يجب تلميذه عن بعض الأسئلة التى وجهها إليه . فلم يذكر له اسم المذنبين اللذين عصيا أوامر النبى فى أثناء نزول عسكره بجوار الحجر ، فنالهما العقاب ، و إن كان أطلق سراحهما فى نهاية الأمر . يقول ابن إسحاق : «حدثنى عبد الله ابن أبى بكر أن قد قد سمى له العباس الرجلين ، ولكنه استودعه إياهما ، فأبى عبد الله أن يسميهما لى[٢] » .

ولم يقنع عبد الله بجمع الأخبار التى وصل إليها ، فحاول أيضا فى هذا الزمن المبكر ، أن يبتكر الترتيب السنوى للحوادث[٣] ، فجمع قائمة بغزوات النبى مرتبة ترتيبا سنويا ، استعاره ابن إسحاق لكتابه[٤] . وعُنِى إلى

---

(١) الطبرى ١ : ١٨٣٧ . ولكن ابن هشام لايقول إلا : وقد حدثنى فاطمة هذا الحديث .

(٢) ابن هشام ٤ : ١٦٥ .

(٣) ابن جرير الطبرى ٣ : ٢٤٣١ : عن عبد الله بن أبى بكر بن محمد بن عمرو ابن حزم قال : توفيت زينب ابنة رسول الله صلى الله عليه وسلم فى أول سنة ٨ . ويقول نفس المرجع ٢٤٤٧ : عن عبد الله بن أبى بكر بن حزم قال : كان الذى زوجها وخطب إليه النجاشى خالد بن سعيد بن العاص وذلك سنة ٧ من الهجرة .

(٤) الطبرى ١ : ١٧٥٦ : عن محمد بن إسحاق ، عن عبدالله بن أبى بكر قال : كان جميع ماغزا رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ستا وعشرين غزوة أول غزوة غزاها ودان ، وهى غزوة الأبواء ، ثم غزوة بواط ... الخ . انظر أيضاً الطبرى ١ : ١٧٥٨ ـــ

جانب أخبار رواته بالمدوّنات ، مثل الرسالة التى كتبها النبى إلى ملوك حِمير[١] ، والوثيقة الأخرى التى أعطاها النبى جَدَّه الأكبر عمرو بن حزم ليأخذها معه ، حين بعثه إلى أهالى نجران ليفقههم فى الدين[٢] . ويدخل عبد الله فى الحوادث الأشعار على أفواه أولئك الذين كان لهم أثر ظاهر فيها[٣] ، كما فعل سابقوه ، الذين تناولناهم آنفا . وتوجد أمثلة هذا فى الأخبار الخاصة بالمغازى وفى أخبار الحوادث بعد وفاة النبى[٤] . وكانت أسرة عبد الله محبة للشعر ، ولدينا فى « كتاب الأغانى » خبر عن تحدى أحد أبناء أبى بكر بن محمد (لايمكن أن نقطع أكان عبد الله نفسه أم أحد إخوته) للفرزدق أن ينظم قصيدة مثل إحدى قصائد حسان التى كان يعجب بها[٥] .

= حدثنى محمد بن إسحاق عن عبدالله بن أبى بكر قال : كانت سرايا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبعوثه فيما بين أن قدم المدينة وبين أن قبضه الله خمسا وثلاثين بعثا وسرية .

(١) الطبرى ١ : ١٧١٧ : حدثنى محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر قال : قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم كتاب ملوك حمير . . . فكتب إليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم : « بسم الله الرحمن الرحيم . من محمد النبى رسول الله إلى الحارث بن عبد كلال . . . الخ .

(٢) ابن هشام ٤ : ٢٤١ : وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث إليهم بعد أن ولى وفدهم عمرو بن حزم ، ليفقههم فى الدين ، ويعلمهم السنة ومعالم الإسلام ، ويأخذ منهم صدقاتهم ، وكتب له كتابا ، عهد إليه فيه عهده ، وأمره فيه أمره : « بسم الله الرحمن الرحيم . هذا بيان من الله ورسوله . . . الخ .

(٣) ابن هشام ٣ : ١٠٨ .

(٤) ابن هشام ٤ : ١٣ ، ١٨ ؛ الطبرى ١٧٣٢ ، ١٧٣٤ . ولا يذكر عبد الله فى الفقرات المقابلة لها عند ابن هشام ٤ : ٢٢٨ ، ٢٣٠ . وانظر أيضا الطبرى ١٩٠٥ ، ٢٣٥٤ .

(٥) النقائض ، بيفان ٥٤٦ . وانظر أيضا الأغانى ٨ : ١٩٣ ، ١٩ : ٣٨ .

« قال الزبيرى : قال إبراهيم بن محمد بن سعد بن أبى وقاص الزُّهرى : قدم الفرزدق فى إمارة أبان بن عثمان (٧٥ ـ ٨٢ هـ) قال : فإنى والفرزدق وكُثَيِّر لجلوس فى المسجد نتناشد الأشعار ، إذ طلع علينا غلام شَخْت ـ أى دقيق ـ فى ثوبين مُمَصَّرين ـ أى مصبوغين بصفرة غير شديدة ـ ثم قصد نحونا حتى جاء إلينا فلم يسلم، فقال : أيكم الفرزدق ؟ فقلت ـ مخافة أن يكون من قريش مثل إبراهيم نفسه ! : أهكذا تقول لسيد العرب وشاعرها ؟ فقال : لو كان كذلك لم أقل هذا له . فقال له الفرزدق : ومن أنت يا غلام ، لا أم لك ؟ قال : رجل من بنى الأنصار ، ثم من بنى النجار ، ثم أنا ابن أبى بكر بن حزم ، بلغنى أنك تزعم أنك أشعر العرب ، وتزعم مصر ذلك لك ، وقد قال حسان بن ثابت شاعر النبى المدنى شعرا، فأردت أن أعرضه عليك ، وأؤجلك سنة، فإن قلت مثله فأنت أشعر العرب ، وإلا فأنت كذاب مُحِل . ثم أنشده قول حسان :

لنا الجَفَنات الغُرُّ يلمعن بالضحى ... وأسيافنا يقطرن من نَجْدة دما

متى ما تزرنا من معـدّ بعصبة ... وغسان نمنع حوضنا أن يهـدما

أبى فعلنا المعروفَ أن نبطق الخنا ... وقائلنا بالعـرف إلا تـكلما

ولدنا بنى العنقاء وابنى محـرق ... فأكرم بنا خالا وأكرم بنا ابنما

فأنشده القصيدة كلها إلى آخرها ، وقال له: إنى قد أجلتك فيها حولا، ثم انصرف ، وانصرف الفرزدق مغضبا يسحب رداءه، مايدرى أى طريق يسلك ، حتى خرج من المسجد . قال : فأقبل كُثَيِّر علىَّ ، فقال : قاتل الله الأنصارى ، ما أفصح لهجته ، وأوضح حجته ، وأجود شعره ! قال : فلم

نزل فى حديث الفرزدق والأنصارىّ بقية يومنا ، حتى إذا كان الغد خرجت من منزلى إلى مجلسى الذى كنت فيه بالأمس ، وأتانى كثير فجلس معى . فبينا لنتذاكر الفرزدق ونقول : ليت شعرى ما فعل ؟ إذ طلع علينا فى حلة أفواف يمانية موشاة ، له غديرتان ، حتى جلس فى مجلسه بالأمس . ثم قال: مافعل الأنصارىّ ؟ قال : فذكرنا منه [الأنصارى المذكور] وشتمناه [ووقعنا فيه ، نريد بذلك أن نغيب نفس الفرزدق] فقال : قاتله الله ما رُميت بمثله [حسان] ولا سمعت بمثل شعره . [ثم قال لهما الفرزدق : إنى] فارقتكما [بالأمس] فأتيت منزلى فأقبلت أصعّد وأصوب فى كل فن من الشعر ، فكأنى مفحم ، أو لم أقل قط شعرا ، حتى نادى المنادى بالفجر ، فرحلت ناقتى ، ثم أخذت بزمامها ، فقدتها حتى أتيت ذبابا [وهو جبل بالمدينة] ثم ناديت بأعلى صوتى [للجنى الذى يلهم الفرزدق قصائده] : [أجيبوا] أخاكم أبا فراس . فجاش صدرى كما يجيش الرجل ، ثم عقلت ناقتى ، وتوسدت ذراعها ، فما قمت حتى قلت مئة وثلاثة عشر بيتا . فبينا هو ينشدنا إذ طلع علينا الأنصارىّ ، حتى انتهى إلينا فسلم ، ثم قال : أما إنى لم آتك لأعجلك عن الرجل الذى وثبته لك ، ولكنى أحببت ألا أراك إلا سألتك عما صنعتْ . فقال : اجلس . ثم أنشده :

عزفتَ بأعشاش وما كدت تعزف ... وأنكرت من صحراء ما كنت تعرف

فلما فرغ الفرزدق من إنشاده قام الأنصارىّ كئيبا . فلما توارى طلع أبوه ، وهو أبو بكر بن محمد بن عمرو بن حزم فى مشيخة من الأنصار ، فسلموا علينا ، وقالوا : يا أبا فراس [كنية الفرزدق] إنك قد عرفت حالنا

ومكاننا من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووصيته بنا، وقد بلغنا أن سفيها من سفهائنا تعرض لك، فنسألك بالله و بحق المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم لمّا حفظت فينا وصية النبي صلى الله عليه وسلم، ووهبتنا له، ولم تفضحنا بالشجاء قال اليربوعي، قال إبراهيم بن محمد بن سعد: فأقبلت كلمه أنا وكثير، فلما أكثرنا عليه، قال: اذهبوا فقد وهبتكم لهذا القرشي» (يعني إبراهيم بن محمد بن سعد).

وتحدث القصة في شباب عبد الله أو أحد إخوته، وترينا المرة الثانية مبلغ عناية أهل الفقه والحديث برواية الشعر ودرسه ونقده.

عاصم بن عمر

وولد عاصم بن عمر بن قتادة من أسرة مدنية أيضا، كانت من السابقين إلى الإسلام. وكان جده قتادة، من بني ظفر، أحد الأنصار الذين حاربوا في بدر مع النبي (١)؛ وكان حامل لواء قبيلته في حُنين (٢).

ولم تخبرنا المراجع كثيرا عن عُمَر والد عاصم (٣)، غير أنه تلقى الحديث عن أبيه، ورواه ابنه عاصما. ومن الواضح أنه بخلاف أبي عبد الله بن أبي بكر، لم يُعن بالشئون الخاصة بحياة المدينة، ولم يتقلد أي عمل رسمي فيها، ولم ينج من المتاعب الاقتصادية التي اضطرته إلى الرحيل إلى قاعدة الخلافة، يبحث عن المساعدة في بلاط الخليفة، مثل كثير غيره من أهل

(١) ابن هشام ٢ : ٣٤٣ : ومن بني ظفر . ثم من بني سواد بن كعب، وكعب : هو ظفر . . . قتادة بن النعمان .

(٢) الواقدي، ت. فلهوزن ٣٥٨.

(٣) ابن حجر ٧ : ٤٨٩ : عمر بن قتادة بن نعمان الظفري الأنصاري المدني . روى عن أبيه، وله صحبة، وعن علي بن الحسين . روى عنه ابنه عاصم.

بلده إذا نابتهم الأزمات والشدائد . وقد نجح فى الحصول على تلك المساعدة من خليفة ذلك الوقت ، عمر بن عبد العزيز الذى تفرد فى الخلفاء الأمويين بحب رؤية صالحى أهل المدينة . ويخبرنا ابن سعد[١] أن عاصما « وفد على عمر بن عبد العزيز فقضى دينه ، وأمره أن يجلس فى مسجد دمشق ، فيحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ؛ ففعل ، ثم رجع إلى المدينة» . واستحسن الخليفة عمر بن عبد العزيز ، الذى اهتم اهتماما كبيرا بجمع الحديث وتدوينه كما رأينا ، أن يعلم جمهرة أهل دمشق بنفس الطريقة على فقيه متبحر . أضف إلى ذلك أن معرفة عاصم فى السيرة والمغازى كانت مشهورة[٢] وهو يعدّ من الرواة الثقات[٣] . ولا نقبل أنه شوّه تاريخ النبى إرضاء للأمويين ؛ كما نرفض أن عمر الثانى رغب فى ذلك . وقد تولى الخليفة عمر الحكم من عام ٩٩ إلى ١٠١ هـ ، ورجع عاصم إلى بلدته فى عام ١٠١ على آخر الأقوال ؛ وهناك كان يشرح معارفه أمام سامعيه مدّة تقرب من العشرين عاما ، وتوفى عام ١١٩ هـ ، أو بعد ذلك بقليل[٤] .

---

(١) يبدو أن ترجمة عاصم ساقطة من المخطوطة التى وصلت إلينا من ابن سعد ، ولكن اقتبسها الذهبى (نشر فيشر) ٢٢ ، وابن حجر ٥ : ٥٣ ، والمزى (انظر سخاو ، دراسات) ١٤ . وقال ابن سعد: كان راوية للعلم ، وله علم بالمغازى والسيرة، أمره عمر بن عبد العزيز أن يجلس فى مسجد دمشق ، فيحدث الناس بالمغازى ومناقب الصحابة ففعل. يقول الذهبى ٢٢ :وفد على عمر بن عبد العزيز فقضى دينه وأمره أن يجلس فى مسجد دمشق ، فيحدث الناس ؛ ففعل ، ثم رجع إلى المدينة .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ : هو صاحب السير والمغازى .

(٣) الذهبى ٢٢ : وثقه ابن معين وجماعة .

(٤) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٦ : توفى سنة عشرين ومئة .

وعاصم أحد رُواة ابن إسحاق والواقدىّ، وهما متفردان فى المغازى بالمعنى الخاص، ولكنه عُنى أيضا بتفاصيل قصة شباب النبى والفترة المكية عامة، كما تُبين مقتبسات ابن سعد خاصة. وهو يصرح غالبا بأسانيده، ولكنه كان كذلك يحذف السند كثيرا. فسلكه نحو الإسناد شبيه بمسلك عبد الله ابن أبى بكر. وهو يُدخل فى الأخبار التى يرويها أشعار أصحابها الأساسيين من وقت لآخر[1]؛ ويتضح من الفقرة التى ذكرها ابن إسحاق أنه لم يكن يجمع الأخبار فحسب، بل كان يعبر من حين لآخر عن رأيه الخاص فى الدوافع التى تدفع لارتكاب الحوادث. يقول ابن إسحاق[2]: «وأما عاصم بن عمر فقال: والله، ما قال ذلك العباس» — أعنى توثيق حِلف الأنصار على طاعة النبى، مع أنهم كانوا مستعدين للتضحية بأرواحهم وأموالهم فى سبيل هذه الطاعة — «إلا ليشُد العَقْد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم». ويعبر عبد الله بن أبى بكر أيضا عن رأيه ورأى عاصم المعارض له فى موقف العباس هذا بطريقة تستحق الذكر.

الزُّهرِىّ

ظهر عبد الله وعاصم كلاهما من دائرة الأنصار. أما محمد بن مسلم بن عُبيد الله بن عبد الله بن شهاب، فظهر من قبيلة مكية، هى بنو زُهرة،

(١) انظر ابن هشام ٢ : ٦٧، ٤ : ١٣.

(٢) ابن هشام ٢ : ٨٩ : وأما عاصم بن عمر بن قتادة فقال: والله ما قال ذلك العباس إلا ليشد العقد لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى أعناقهم. وأما عبد الله ابن أبى بكر فقال: ما قال ذلك العباس إلا ليؤخر القوم تلك الليلة، رجاء أن يحضرها عبد الله بن أبى ابن سلول، فيكون أقوى لأمر القوم.

كما يبين من لقبه. وقد وُلد عام ٥٠ أو ٥١ ، وتقول روايات أخرى فى عام ٥٦ أو ٥٧ أو ٥٨[١] ، وحارب جدُّ أبيه عبد الله بن شهاب مع المكيين فى بدر[٢] ، وتآمر مع ثلاثة من المكيين على قتل النبى فى أُحد[٣] ، وقد نجح فعلا فى جرحه[٤] . ومن الطبيعى أن هذا السلوك كان مؤلما للحفيد الذى لايقول شيئا عن عمل جده فى الصفحات التى يتكلم فيها عن هجوم المتآمرين على النبى[٥] . وكان أبو الزهرىّ إلى جانب عبد الله بن الزبير فى أثناء رفعه لواء الثورة[٦] ؛ ولكن الزهرى نفسه وفد على مروان[٧] فى أثناء خلافته عام ٦٤ هـ وهو غلام محتلم ، كما يقول عن نفسه ، ثم وفد على عبد الملك

---

(١) الذهبى ٧٣ : قال المزى : قال أحمد بن صالح المصرى : يقولون : مولده سنة خمسين ، وقال خليفة : ولد سنة إحدى وخمسين ، وقال ابن بكير : سنة ست وخمسين ، وقال الواقدى : سنة ثمان وخمسين .

(٢) ابن قتيبة : المعارف ٢٣٩ : وكان أبو جده عبد الله بن شهاب شهد مع المشركين بدرا .

(٣) نفس المرجع : وكان أحد النفر الذين تعاقدوا يوم أحد : لئن رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليقتلنه أو ليقتلن دونه . وهم : عبد الله بن شهاب ، وأبى بن خلف وابن قميئة ، وعتبة بن أبى وقاص . وانظر أيضا الواقدى (ولهوزن) ١١٦ ابن سعد ج ٤ ، ق ١ : ٩٢ .

(٤) ابن هشام ٣ : ٨٤ : قال ابن هشام : وذكر ربيح بن عبد الرحمن بن أبى سعيد الخدرى ، عن أبيه ، عن أبى سعيد الخدرى : أن عتبة بن أبى وقاص رمى رسول الله صلى الله عليه وسلم يومئذ ، فكسر رباعيته اليمنى السفلى ، وجرح شفته السفلى ، وأن عبد الله بن شهاب الزهرى شجه فى جبهته .

(٥) ابن هشام ٣ : ٨٥ ، الطبرى ١ : ١٤٠٧ .

(٦) ابن قتيبة ٢٣٩ : وكان أبوه مسلم بن عبيد الله مع ابن الزبير .

(٧) ابن حجر ٩ : ٤٥١ : وروى عنبسة عن يونس عن ابن شهاب قال : وفدت إلى مروان وأنا محتلم .

ابن مروان ، ثم استقر فى دمشق ، ولـكنه كان يذهب كثيرا إلى بلدته المدينة . وقد حدث له حادث،فى موضع مّاقبل هجرته إلى دمشق ، يرويه لنا ابن سعد[1]: «أصاب الزُّهرىَّ دما خطأ ،فخرج وترك أهله وضرب فُسطاطا، وقال : « لايظلنى سقيف بيت » . فمر به على بن حسين ، فقال : « يابن شهاب ، قنوطُك أشد من ذنبك ، فاتق الله واستغفره ، وابعث إلى أهله بالدية ، وارجع إلى أهلك » . فكان الزهرىّ يقول : « على بن الحسين أعظم الناس علىّ منة » .

و إذا كان اليعقوبى[2] المؤرخ الشيعى مصيبا ، فإن الزهرى يكون قد وضع نفسه وهو صغير فى خدمة الخليفة عبد الملك ضد عبد الله ابن الزبير ، فعند ما حاول عبد الملك مثلا أن يجعل الحج إلى بيت المقدس مثل الحج إلى مكة ـ فعل هذا حين كان الخليفة الثائر عائذا بمكة ـ يقال إنه أجاب عن الذين شكوا من حَظْر الحج إلى مكة بقوله : «هذا ابن شهاب الزهرىّ يحدثكم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : لاتُشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد: المسجد الحرام (بمكة)، ومسجدى (بالمدينة)، ومسجد بيت المقدس (بأورشليم) » .

والحق أننا نجد حديثا بهذا المعنى ـ مع عدة تغييرات ـ فى الكتب الستة الصحيحة جميعها ، وفى مسند أحمد بن حنبل ؛ وغالبا مايكون

(١) ٥ : ١٥٨ .

(٢) تحقيق هوتسما Houtsma ٢ : ٣١١ : وقالوا : تمنعنا من حج بيت الله الحرام ، وهو فرض من الله علينا ؟ ! فقال لهم عبد الملك : هذا ابن شهاب الزهرى يحدثكم أن رسول الله قال : لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد ؛ المسجد الحرام ، ومسجدى ، ومسجد بيت المقدس .

إسناده : الزهرى ، عن سعيد بن المسيب ، عن أبى هريرة، ولكنهم فى كثير من الأحيان أيضا لايذكرون الزهرى . وليس من المحتمل أن يُعنى عبدالملك بذكر الزهرىّ ليسبغ الثقة على هذا الحديث إلا إذا عنى أيضا بذكر رواة الزهرىّ ، لأنه إذا كان الخليفة تفوه به حقا ، فلابد أن ذلك كان بين عامى ٦٥و٧٣ هـ ، فى أثناء ثورة عبد الله ؛ ومن المحتمل فى عام ٧٢هـ ، ذلك العام الذى بنى فيه عبدالملك قبة الصخرة فى بيت المقدس ، كما يبين النقش الذى لازال موجودا ؛ ولكن الزهرى كان فى الثالثة والعشرين فى عام ٧٣، وربما كان أصغر بكثير ، وليس من الممكن أن يكون لاسمه كعالم بالحديث من الفضل ، مايجعل عبد الملك يؤمل فائدة خاصة من ذكره « وحده » . فإذا كان خبر اليعقوبى يستحق أى تصديق ، فإننا يجب أن نأخذه على أن الزهرى اندفع إلى عبد الملك من المدينة ، ليبلغه حديثا سمعه من الرواة فى المدينة ، ويرجو أنه سيساعد الخليفة فى أغراضه السياسية . ولا نصدق أنه اخترعه بنفسه ، كما يقول بعضهم، إذ لم يكن من الصعب على الناس فى دمشق أن يتحققوا من معرفة علماء المدينة المعروفين بالحديث ، ومن الشاقّ أن يهمل أىُّ إنسان له شكوكه ، فى البحث عنه . ومهما ذهب ظن المرء فى صحة الحديث، فإنه لايوجد مايدعو إلى الشك فى أن الزهرى سمعه فعلا من فم سعيد بن المسيب ، الذى يقولون لنا عنه مرارا ـ وكان مشهورا بتفسير الأحلام[1] ـ إنه فسر حلما

(١) البلاذرى : الأنساب ، نشر آلورد Ahlwerdt ١٥٩ : المدائنى عن إبراهيم بن سعد أن عبد الملك رأى فى منامه كأن امرأته المخزومية قلعت رأسه ، ثم لطمت منه عشرين لطمة ، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سأله عن الرؤيا ، فقال : تلد منه ولدا يملك عشرين سنة . وفى نفس المرجع ٢٣٣ : المدائنى قال : رأى عبد الملك كأنه بال فى الكعبة ، فبعث إلى سعيد بن المسيب من سأله عن ذلك .

خاصا مرسلا إليه بسوء طالع الخليفة الثائر ، وحسن طالع عبد الملك .

روى عمر بن حبيب بن قَنِيع[١] : « كنت جالسا عند سعيد بن المسيب يوما ، وقد ضاقت علىّ الأشياء ، ورَهَقنى دين ، فجلست إلى ابن المسيب ، ماأدرى أين أذهب ؟ . فجاءه رجل فقال: ياأبا محمد (كنية سعيد) ، إنى رأيت رؤيا. قال : ماهى ؟ قال : رأيت كأنى أخذت عبد الملك بن مروان فأضجعته إلى الأرض، ثم بطحته، فأوتدت فى ظهره أربعة أوتاد . قال: ماأنت رأيتها ! قال : بلى ، أنا رأيتها . قال : لاأخبرك أو تخبرنى . قال : ابن الزبير رآها ، وهو بعثنى إليك . قال : لئن صدقتْ رؤياه قتله عبد الملك بن مروان ، وخرج من صلب عبد الملك أربعة كلهم يكون خليفة . قال : فدخلت إلى عبد الملك بن مروان بالشام ، فأخبرته بذلك عن سعيد بن المسيب، فسره؛ وسألنى عن سعيد وعن حاله ، فأخبرته ، وأمر لى بقضاء دينى ، وأصبت منه خيرا » .

وفعل الزهرىّ أيضا مافعله عمر هذا — إذا صدقنا قول اليعقوبى — حين حمل حديثا سمعه من فم سعيد إلى الخليفة مؤملا نواله . وعلى كل حال لم يُقم الزهرى طويلا فى دمشق ، إن كان قد ذهب إليها على الإطلاق. وقد تمت هجرته الدائمة إلى هناك فيما بعد ، « زمن تحرك ابن الأشعث » ، (أى عام ٨١ أو ٨٢ هـ)[٢] ، كما يقول هو نفسه[٣] . وذهب فى أول الأمر

---

(١) ابن سعد ٥ : ٩١ . ويسمى الراوى حبيب بن منيع فى أنساب البلاذرى ٢٣٣ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٠٥٢ : وفى هذه السنة (يعنى سنة ٨١) خالف عبد الرحمن ابن محمد بن الأشعث الحجاج ، ومن معه من جند العراق ، وأقبلوا إليه لحربه ، فى قول أبى مخنف ، وروايته لذلك عن أبى المخارق الراسبى . وأما الواقدى فإنه زعم أن ذلك كان فى سنة ٨٢ .

(٣) البخارى : تاريخ ٩٣ : قدمت دمشق زمن تحرك ابن الأشعث .

إلى قَبِيصة ، الذى كان على خاتَم عبدالملك[١] ، وكان الخليفة على صِلات طيبة به منذ كان واليا على المدينة[٢] . فأدخله قبيصة إلى عبد الملك[٣] ، إذ سنحت له الفرصة حين سأل الخليفة : من منكم يحفظ القضاء فى أمهات الأولاد؟ فذُكر الزهرى واستُدعى للخليفة ، فسأله عن نسبه ، وأبدى ملاحظة عن اشتراك والد الزهرى فى ثورة عبد الله بن الزبير ، ثم أمره بالجلوس ، وقضى دينه[٤] . وقد ذهب إلى دمشق فى الخلاص من ضيق حاله[٥] ، مثل كثيرين قبله .

وتقول رواية أخرى إن الخليفة سأل سعيدا عن الزهرى فى بداية الأمر، عن طريق عامله على المدينة[٦] . ولا تتفق كل هـــذه الأخبار مع خبر اليعقوبى الذى يُستنتج منه أن عبد الملك كان يعرف الزهرى غير شك منذ وقت طويل ، ولم يكن الزهرى يحتاج إلى تقديم خاص للخليفة ولا إلى

---

(١) ابن سعد ٥ق٢ : ١٥٧ : قبيصة بن ذؤيب . . . روى عنـه الزهرى ، وكان على خاتم عبد الملك بن مروان .

(٢) البلاذرى : الأنساب ٢٥٧ : قال (يعنى قبيصة بن ذؤيب) : كنا فى خلافة معاوية فى آخرها نجتمع فى حلقة فى المسجد بالليـل : أنا ، ومصعب بن الزبير . . . وعبد الملك بن مروان .

(٣) ابن سعد ٥ : ١٥٧ : هو أدخل الزهرى على عبد الملك . انظر أيضا ابن قتيبة : المعارف ٢٢٨ .

(٤) الذهبى ٧٠ : فجالس قبيصة بن ذؤيب ، فأرسل عبد الملك إلى الحلقة : من منكم يحفظ القضاء فى أمهات الأولاد ؟ قلت : أنا . فأدخلت عليه ، فقال : من أنت ؟ فانتسبت له ، فقال : إن كان أبوك لنعارا فى الفتن . اجلس. فسأله مسائل ، وقضى دينه.

(٥) الذهبي نفس الموضع : ضاقت حال الزهرى فخرج إلى الشام .

(٦) البخارى : تاريخ ٩٣ قال : من أنت ؟ قلت محمد بن مسلم بن عبيد الله . ثم كتب إلى هشام بن إسماعيل : أن ابعث إلى سعيد بن المسيب ، فسله .

مدح من سعيد . وربما لايستند خبر اليعقوبى إلا إلى أن الناس كانوا يذكرون الزهرىَّ فيما بعد بأنه المحدث المشهور الوحيد، الذى كان وثيق الصلة بعبد الملك ، وأنهم أخطئوا فأرّخوا تلك الصلة قبل حدوثها بعشر سنوات . ومن اليسير أن يحدث هذا ، لأن اسمه يجىء فى إسناد الحديث الذى نناقشه ، كما قد رأينا .

وأقام الزهرىُّ فى دمشق ، فى عهد الخلفاء بعد عبد الملك ، وأجْرَوا عليه راتبا معينا[1]، فهو يخبرنا[2] أنه قدم على الوليد بن عبد الملك يخطب إليه ابنة عمه مالك بن شهاب . ويبدو أن القُصَّاص فخموا هذه الحادثة ، لأنه وُجد كتاب يسمى « كتاب الزهرى وابنة عمه الذين ساروا إلى هشام ابن عبد الملك [3] » ، كما نعرف من الفهرست[4] . ويحدث استبدال الوليد بأخيه هشام فى موضع آخر، كما سنرى فى الحال . وأفتى الزهرىُّ فى عهد عمر ابن عبد العزيز (٩٩–١٠١ هـ) فى بعض المسائل الفقهية[5]. وقال أكثر من واحد[6] : إن خليفة عمر ، يزيد الثانى عيَّنه قاضيا . ولكن يزيد الثانى

---

(١) ابن سعد ٧ : ١٥٧ . وابن قتيبة أيضا ٢٢٨ : ووصله ، ففرض له ، وصار من أصحابه .

(٢) البخارى : تاريخ ١٠٤ : قال : سمعت الزهرى قال : قدمت على الوليد ابن عبد الملك أخطب إليه ابنة عمى ؛ ابنة مالك بن شهاب ، فتعشينا ، ثم خرجنا .. الخ.

(٣) كذا عنوان الكتاب فى الفهرست ، وهو تحريف وصحته : « كتاب الزهرى وابنة عمه اللذين سارا إلى هشام بن عبد الملك » ح .

(٤) الفهرست ٣٠٧ .

(٥) ابن عبد الحكم ، تحقيق تورى Torrey ١٠٤ : ثم خاصم فيها الأصبغ إليه ، وابن شهاب قاضيه يومئذ ، فقضى ابن شهاب لابن خارجة بالدار .

(٦) الذهبى ٧٢ : جعل يزيد بن عبد الملك ابن شهاب قاضيا . ابن قتيبة ٢٣٩ : وكان يزيد بن عبد الملك استقضاه .

توقع من الزهرى نوعا من المعرفة مغايرا لما يحتاج إليه القاضى فى أداء واجباته . إذ رجع إليه ذات مرة حين رغب فى الاستفسار عن مؤلف إحدى القصائد ؛ ولم تذهب استشارته هذه سُدى[1] .

« فبينا يزيد [بن عبد الملك] وجاريته حَبَّابة ذات ليلة على سطح تغنيه بشعر الأحوص ، قال لها : من يقول هذا الشعر ؟ قالت : لا ، وعينيك ، ماأدرى . قال : وقد كان ذهب من الليل شطره ، فقال : ابعثوا إلى ابن شهاب الزهرى ، فعسى أن يكون عنده علم من ذلك . فأُتى الزهرى ، فقرع عليه بابه . فخرج مروّعا إلى يزيد . فلما صعد إليه ، قال له يزيد : لاتُرَع ، لم ندعُك إلا لخير . اجلس . من يقول هذا الشعر ؟ قال : الأحوص ابن محمد (الشاعر المدنى ، الذى نفاه الخليفة سليمان إلى دَهْلَك) ياأمير المؤمنين . قال : ما فعل ؟ قال : قد طال حبسه بدَهْلَك . قال : قد عجبت لعمر كيف أغفله . ثم أمر بتخلية سبيله ، ووهب له أربع مئة دينار . فأقبل الزهرىُّ من ليلته إلى قومه من الأنصار ، فبشرهم بذلك » .

وكما ساهم الزهرىّ هنا فى إطلاق سراح أحد المدنيين بحث فى المناسبات الأخرى عن مصالح جمهور بلدته . فنصح والىَ الحجاز الذى عينه يزيد عام ١٠١ هـ قبل سفره إلى مقر وظيفته نصيحة غالية ، لم يتبعها الوالى الجديد من أجل مصلحته الخاصة[2] .

---

(١) الأغانى ٤ : ٤٩ .

(٢) الطبرى ٢ : ١٤٥٢ : قال محمد بن عمر : حدثنى إبراهيم بن عبد الله بن أبى فروة ، عن الزهرى ، قال : قلت لعبد الرحمن بن الضحاك : إنك تقدم على قومك ، وهم ينكرون كل شىء خالف فعلهم ، فالزم ما أجمعوا عليه . . . قال الزهرى فلم يأخذ بشىء من ذلك ، وعادى الأنصار طرا ، وضرب أبا بكر بن حزم ظلما وعدوانا فى باطل ، فما بقى منهم شاعر إلا هجاه ، ولا صالح إلا عابه ، وأتاه بالقبيح .

واشتهر الزهريّ بكرمه ، فتغنى فائد بن أشرم بمدائحه فى قصيدة[١] ، وقال قُرة بن عبد الرحمن يصف الزهريَّ[٢] : « ما رأيت أحدا ، الدينار والدرهم أهون عليه منه ، كأنها عنده بمنزلة البعر» . فليس من الغريب إذن أن يغرق على الدوام فى الديون التى قضاها عنه الخليفة الجديد هشام[٣] (١٠٥ ـ ١٢٥) وكان الزهرى يساعده فى تثقيف أولاده[٤] ، وكان الخليفة يقربه فى مجتمعه تقريبه لأبى الزناد . « وحضر الزهريُّ يوما مجلس هشام ابن عبد الملك ، وعنده أبو الزناد عبد الله بن ذكوان ، فقال له هشام : أىُّ شهر كان يَخْرج العطاء فيه لأهل المدينة ؟ فقال الزهرى : لاأدرى . فسأل أبا الزناد ، فقال : فى المحرم . فقال هشام للزهريّ : ياأبا بكر ، هـذا علم استفدته اليوم . فقال : مجلس أمير المؤمنين أهل أن يُستفاد منه العلم[٥]» .

ولم تكن المقابلات بين الخليفة وفقيه القصر العلامة (كذلك كان يُسَمَّى الزهرى) ، تجرى دائمـا بهذا اللطف . فلدينا خبر عن الشافعى[٦] ،

---

(١) الذهبى ٧١ :

ذَرْ ذَا وَأَثْنِ عَلَى الْكَرِيمِ مُحَمَّدٍ ... وَاذْكُرْ فَوَاضِلَهُ عَلَى الْأَصْحَابِ

وَإِذَا يُقَالُ مَنِ الْجَوَادُ بِمَالِهِ ... قِيلَ الْجَوَادُ مُحَمَّدُ بْنُ شِهَابِ

أَهْلُ الْمَدَائِنِ يَعْرِفُونَ مَكَانَهُ ... وَرَفِيعَ نَادِيهِ عَلَى الْأَعْرَابِ

(٢) الذهبي ٦٨ .

(٣) نفس المرجع ٧٠ : قال سعيد بن عبد العزيز : أدى هشام عن الزهرى سبعة آلاف دينار دينا .

(٤) نفس المرجع ٧٠ : وكان يؤدب ولده .

(٥) ابن خلكان ١ : ٥٧١ .

(٦) الذهبى ٧٢ .

عن عمه يقول : « دخل سليمان بن يسار على هشام فقال : مَن الذى تولى كِبْرَه منهم ؟ (يعنى حديث الإفك : السورة ٢٤ ،الآية ١١) قال : عبد الله ابن أُبَيّ بن سَلول . فقال : كذبت ، هو علىّ . يابن شهاب ، من هو؟ قال : عبد الله بن أُبَيّ . فقال : كذبت ، هو علىّ .قال : أنا أكذب، لاأبالك ، فوالله لو نادانى منادمن السماء : أن الله أحل الكذب،ما كذبت . حدثنى سعيد بن المسيب ، وعُروة ، وعُبيد الله ، وعلقمة بن وقاص ، عن عائشة : أن الذى تولى كبره عبد الله بن أُبَيّ . قال : فلم يزل القوم يغْرُون به ، فقال له هشام : ارحل ، فوالله ماينبغى لنا أن نحمل عن مثلك . قال : ولم ! أنا اغتصبتك على نفسى أو أنت اغتصبتنى ؟ فخلّ عنى . قال : لا ، ولكنك استدنت ألف ألف . فقال : قد علمتَ ، وأبوك قبلك ، أنى ما استدنت هذا المال عليك ولا على أبيك . فقال هشام : إنا إن نهيج الشيخ ، وذكر كلمة ، فأمر ، فقضى عنه ألف ألف . فأُخبر بذلك ، فقال : الحمد لله الذى هذا هو من عنده » . وتقول روايات أخرى[1] إنه لم يكن هشاما ، وإنما هو الوليد الذى حاول دون جدوى أن يُغْرى الزهرىّ بتحويل ذنب ابن أبىّ إلى علىّ .

ويَروِى أبو الزناد[2] حديثا آخر للزهرىّ مع هشام : « دخلت على هشام بن عبد الملك ، وعنده الزهرىّ ، وهما يعيبان الوليد ، فأعرضت ولم

---

(١) البخارى : مغازى : عن الزهرى قال : قال لى الوليد بن عبد الملك : أبلغك أن عليا كان فيمن قذف عائشة . وانظر أيضا الفقرات المقابلة لذلك فى فتح البارى ٧ : ٣٣٦ ، و «فيك» : محمد بن إسحاق ١٠ ، الملاحظة ٣٤ .

(٢) الأغانى ٦ : ١٠٦ .

أدخل فى شىء من ذكره ، فلم ألبث أن استؤذن للوليد ، فأذن له ، فدخل وهو مُغضَب ، فجلس قليلا ، ثم نهض . فلما مات هشام وولى الوليد ، كتب إلى المدينة ، فحُمِلت ، فدخلت عليه ، فقال : أتذكر قول الأحول [أى هشام]، والزهرى ؟ قلت : نعم ، وما عرضت فى شىء من أمرك . قال : صدقت . أتدرى من أبلغنى ذلك ؟ قلت : لا . قال : الخادم الواقف على رأسه ، وايم الله ، لو بقى الفاسق الزهرىُّ لقتلته». ولكن الزهرى أيضا كان جِدًّ عارف بما ينتظره لو تولى الوليد الحكم ، وعزم على الفرار داخل حدود الإمبراطورية البيزنطية[1] عندما يُتَوفى هشام . ولكنه لم يعش حتى ارتقاء الوليد الثانى الخلافة (١٢٥ هـ) . فقد توفى فى السابعَ عَشَرَ من رمضان ١٢٤ هـ[2] ، ودفن فى « شَغْب » فى الحجاز ، فى الأرض التى وهبها له الأمويون[3] .

وكان الزهرىُّ يتردد كثيرا إلى الحجاز[4] ، حتى بعد هجرته إلى

---

(١) نفس المرجع : حدثنى . . . مصعب عن أبى الزناد قال : أجمع الزهرى على أن يدخل إلى بلاد الروم إن ولى الوليد بن يزيد ، فمات الزهرى قبل ذلك .

(٢) الذهبى ٧٤ : قال ضمرة بن ربيعة وغيره : مات سنة ثلاث وعشرين ، وهذا وهم . وقال إبراهيم بن سعد وطائفة : سنة أربع وعشرين . وقال الزبير بن بكار وغيره : سنة أربع فى سابع عشر رمضان بشغب فى أمواله . وشذ ابن يونس الصدفى فقال : فى رمضان سنة خمس وعشرين ومئة . والصحيح سنة أربع .

(٣) ابن قتيبة ٢٣٩ : ودفن بماله على قارعة الطريق ، ليمرّ مارٌّ فيدعو له ، والموضع الذى دفن به آخر عمل الحجاز ، وأول عمل فلسطين ، وبه ضيعته . وانظر أيضا « فيك » : محمد بن إسحاق ١٠ ، الملاحظة ٣٩ .

(٤) الذهبى ٧٠ : وفد الزهرى على عبد الملك ، واستوطن الشام ، وكان يتردد إلى الحجاز ، ويحج .

دمشق . وقد شغل بالحج[1] فى عام ١١٩ هـ .

ولكنّ أهم من كل ذلك أنه قضى أعوام دراسته فى المدينة ، ووضع أساس ذلك العلم الذى أكسبه فيما بعد هذا النفوذ العظيم فى عاصمة الخلافة . ويخبرنا الزهرىّ بنفسه[2] عن دراسته أنساب قومه فى بداية أمره على عبدالله بن ثعلبة ، ثم اتصاله بسعيد بن المسيب حين أشار أستاذه على رجل سأله عن بعض أحكام الطلاق بالرجوع إلى سعيد . « وكان لسعيد عند الناس قدر كبير عظيم لخصال : ورع يابس ، ونزاهة ، وكلام بحق عند السلطان وغيرهم ، ومجانبة السلطان ، وعلم لا يشاركه علم أحد ، ورأى بعدُ صليب ... ما استطعت أن أواجهه بمسألة حتى أقول : قال فلان كذا وكذا ، وقال فلان كذا وكذا ، فيجيب حينئذ» . ويقول كذلك فى خبر آخر[3] : «وكنا نجالس ابن المسيب لا نسأله حتى يأتى إنسان فيسأله ، فيهيجه ذلك ، فيحدّث ، أو يبتدئ هو فيحدث» . ووجه ثعلبة بن أبى مالك أيضا الزهرىّ إلى سعيد فجالسه «عشر سنين

---

(١) الطبرى ٢ : ١٦٣٥ : وحج بالناس فى هذه السنة (يعنى سنة ١١٩ هـ) أبو شاكر مسلمة بن هشام بن عبد الملك ، وحج معه ابن شهاب الزهرى فى هذه السنة .

(٢) ابن سعد ٢ : ١٣١ : « كنت أجالس عبد الله بن ثعلبة بن صعير العذرى ، أتعلم منه نسب قومى ، فأتاه رجل جاهل يسأله عن المطلقة واحدة ثنتين ، ثم تزوجها رجل ودخل بها ثم طلقها ، على كم ترجع إلى زوجها الأول ؟ قال : لا أدرى ، اذهب إلى ذلك الرجل . وأشار له إلى سعيد بن المسيب ، قال . فقلت فى نفسى : هذا أقدم من سعيد بدهر ، أخبرنى أنه عقل رسول الله صلى الله عليه وسلم مج على وجهه ، فقمت ، فاتبعت السائل حتى سأل سعيد بن المسيب ، فلزمت سعيدا ، فكان هو الغالب على علم المدينة ، والمستفتى . . . وكان لسعيد بن المسيب عند الناس قدر كبير ... » .

(٣) الذهبي ٦٩ .

كيوم واحد[١] » .

ويَعُدُ الزهرى مع سعيد ثلاثة رجال آخرين على أنهم « بحور قريش الأربعة » وهم : عُروة ، وأبو سَلَمَة بن عبد الرحمن ، وعُبيد الله ابن عبدالله بن عتبة[٢] ؛ ويوازن بين مادة العلم التى أخذها عن عروة الذى يصفه بأنه « بحر لا يُنزَف[٣] » و بين المادة التى حصلها من عبيد الله[٤] فيقول: « ماجالست أحدا من العلماء إلا وأرى أنى قد أتيت على ماعنده ، وقد كنت اختلفت إلى عروة حتى ما كنت أسمع منه إلا مُعادا ، ماخلا عبيدالله بن عتبة ، فإنه لم آته إلا وجدت عنده علما طريفا» . وكان الزهرىُّ يخدم عبيد الله أحيانا قال[٥] : « كنت أستقى لعبيد الله بن عبد الله ، فيقول لجاريته : مَن بالباب ؟ فتقول : غلامك الأعمش » : وخاطب عبيدُ الله ، الذى كان شاعرا كما عرفنا (فيما سبق) ـ حتى وصفه ابن عبد البر بأنه أفقه الشعراء وأشعر الفقهاء ـ خاطب عبيدُ الله الزهرى ببعض الأشعار

---

(١) ابن سعد ٢ : ١٣١ : كنت أجالس ثعلبة بن أبى مالك قال ، فقال لى يوما : تريد هذا ؟ قال ، قلت : نعم . قال : عليك بسعيد بن المسيب . قال : فجالسته عشر سنين كيوم واحد .

(٢) نفس المرجع : عن معمر قال : سمعت الزهرى يقول : أدركت من قريش أربعة بحور : سعيد بن المسيب ، وعروة بن الزبير ، وأبا سلمة بن عبد الرحمن ، وعبيد الله بن عبد الله بن عتبة .

(٣) نفس المرجع ١٣٤ : حدثنى أبو يوسف الماجشون : أنه سمع ابن شهاب يقول : كنت إذا حدثنى عروة ، ثم حدثنى عمرة ، يصدق عندى حديث عروة ، فلما تبحرتهما إذا عروة بحر لاينزف .

(٤) ابن حجر ٧ : ٢٣ .

(٥) الذهبى ٧١ .

المروية فى كتاب الأغانى[١] .

ويصف عِرَاك بن مالك الزهرىّ بأنه أعلم أهل المدينة ، لأنه جمع علم عروة وسعيد وعبيد الله ، والأحكام المماثلة كثيرة ، ولم يُعب عليه غير صلته الوثيقة بالخلفاء الأمويين . يقول مكحول[٢] : «أىُّ رجل الزهرىُّ ، لولا أنه أفسد نفسه بصحبة الملوك !» وكان الزهرىُّ نفسه يفخر ، حين يعارض صمت أحد تلاميذه ، باستعداده الخاص لنشر معارفه[٣] ، فيقول : «ما نشر أحد من الناس هذا العلم نشرى ، ولا بذله بذلى » .

واشتهر أيضا بسعة معارفه[٤] . يقول الليث : « مارأيت عالما قط أجمع من ابن شهاب ولا أكثر علما منه ، لو سمعته يحدث فى الترغيب لقلت : لايحسن إلا هـذا ، وإن حدّث عن الأنساب لقلت : لايعرف إلا هذا ، وإن حدث عن القرآن والسنة كان حديثه نوعا جامعا » .

وقد أجاب سعد[٥] عن سؤال ابنه إبراهيم بن سعد : بم فاقكم ابن شهاب ؟ قال : « كان يأتى المجالس من صدورها ، ولا يأتيها من خلفها ،

---

(١) الأغانى ٨ : ٩٥ . قال عبيد الله لابن شهاب الزهرى :

إِذَا قُلْتُ أَمَّا بَعْدُ لَمْ يُثْنَ مَنْطِقِى ... فَاذِرْ إذا ما قُلتُ كيفَ أَقُولُ

إِذَا شِئْتَ أَنْ تَلقى خَلِيلاً مصافياً ... لقيتَ ، وإِخْوَانُ الثِّقَاتِ قَلِيلُ

(٢) ابن حجر ٩ : ٤٤٨ : وقال الليث عن جعفر بن ربيعة ، قلت لعراك ابن مالك : من أفقه أهل المدينة ؟ فذكر سعيد بن المسيب ، وعروة وعبيد الله بن عبدالله. قال عراك : وأعلمهم عندى جميعا ابن شهاب ؛ لأنه جمع علمهم إلى علمه .

(٣) الذهبي ٦٩ . (٤) ابن حجر ٩ : ٤٤٩ .

(٥) ابن حجر ٩ : ٤٤٩ .

ولا يُبقى فى المجلس شابا إلا ساءله ، ولا كهلا إلا ساءله ، ثم يأتى الدار من دور الأنصار، فلايبقى فيها شابا ولا كهلا ولاعجوزا ولا كهلة إلا ساءلهم، حتى يحاول ربات الحجال » . أما ابن سعد[١] فيروى الجواب مختلفا عن ذلك بعض الاختلاف ، فيقول : « إنا ماسبَقَنا ابن شهاب بشىء من العلم ، إلا أنا كنا نأتى المجلس فيستنتل ويشد ثوبه عند صدره ، ويسأل عما يريد ، وكنا تمنعنا الحداثة[٢] » . وقد ساعد شغفَه الذى لايفتر بجمع الأخبار ذاكرةٌ قوية ، حاول أن يقويها باستعمال العسل[٣] . « وكان يسمر على العسل كما يسمر أهل الشراب على شرابهم ، ويقول : اسقونا وحادثونا» . ويُرْوَى[٤] أن هشاما أراد أن يختبر ذاكرته ذات مرة ؛ فسأله أن يملى شيئا على بعض ولده ، فدعا بكاتب ، وأملى عليه أربع مئة حديث . وحين لقى هشام الزهرىَّ ثانية ، بعد مضى بعض الوقت ، وقال له : « إن ذلك الكتاب قد ضاع » أجابه الزهرىّ : لاعليك . فدعا بكاتب وأملى الأحاديث ؛ وحين قابلها هشام بالكتاب الأول وجده لم يغادر حرفا .

ولم يكن من المألوف ، حتى بين التابعين ، أن يدون جامعو الحديث الأخبار التى جمعوها لأنفسهم كما قد رأينا . ويَرْوِى أبو الزناد[٥] ، زميلُ الزهرى فى الدراسة، ورفيقه فى بلاط هشام عنه: « كنت أطوف أنا والزهرى ومعه ألواح وصحف ، فكنا نضحك به ، وكان يكتب كل ماسمع » . ويقول محمد بن عكرمة[٦] : « كان ابن شهاب يختلف إلى الأعرج ـ وكان

(١) ابن سعد ٢ : ١٣٥ .

(٢) فى اللسان مادة « نتل » : « وفى حديث سعد بن إبراهيم : ما سبقنا ابن شهاب من العلم بشىء إلا [أنا] كنا نأتى المجلس فيستنتل ويشد ثوبه على صدره ، أى يتقدم » . ـ ح .

(٣) الذهبى ٧٠ .

(٤) نفس المرجع ٦٩ .

(٥) نفس المرجع ٦٧ .

(٦) نفس الموضع .

الأعرج يكتب المصاحف ـ فيسأله عن الحديث ، ثم يكتبه ، ثم يحفظه . فإذا حفظ الحديث مزق الرقمة » . ويروى صالح بن كيسان أيضا[١] : « كنت أطلب العلم أنا والزهريُّ فقال : « تعال نكتب السنن . قال : فكتبنا ماجاء عن النبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال : تعال نكتب ماجاء عن الصحابة . قال : فكتب ولم أكتب ، فأنجح وضُيعتُ » .

والأمر فى جميع هذه الروايات أمر ملاحظات مدونة للاستعمال الخاص. أماجعل هذه الملاحظات فى متناول الجمهور فكان أمرا جديدا[٢]. وربما كان عمر بن عبد العزيز أول من حث العلماء على مثل هذا العمل . فقد رأينا آنفا أنه أمر عبد الله بن أبى بكر بذلك العمل ، وتقول بعض الروايات الأخرى إن الزهريَّ تلقى منه أمرا مماثلا[٣] . وعلى كل حال ، يُحَمِّلُ الزهرى ، فى عبارة رواها معمر « هؤلاء الأمراء » مسئولية خروجه عن عادته القديمة فى الصمت ، قال : « كنا نكره كتاب العلم حتى أكْرهنا عليه هؤلاء الأمراء ، فرأينا ألا يُمنعَه أحد من المسلمين[٤] ». لقد رأينا هشاما يأمره بإملاء الحديث على كاتب ، ونستطيع أن نستنتج أنه كان فى بداية الأمر يتحرج من إملاء الحديث أو إباحة كتابة محاضراته ، من الجواب

---

(١) نفس الموضع .

(٢) كان ماأراده عبد الملك من عروة أخبارا مدونة عن مجرى بعض الحوادث، لاتبليغ الأحاديث الخاصة بها . وربما كان هذا سبب عدم ذكر عروة الأسانيد .

(٣) انظر جولد تسهير : دراسات إسلامية ٢ : ٢١٠ .

(٤) ابن سعد ٢ : ١٣٥ . والذهبى ٧١ : فرأيت ألا أمنعه مسلما . وانظر أيضا جولد تسهير : دراسات إسلامية ٢ : ٣٨ .

المتهرب[1] الذى أعطاه الليث حين سأله : « ياأبا بكر (كنية الزهرى) ، لو وضعت للناس عـــذه الـكتب ، ودونت فتفرغت ! » فكان جواب الزهرى : « ما نشر أحد من النـاس هذا العلم نشرى » يريد أن يقول : «يستطيع كل إنسان أن يسمع الأحاديث التى جمعتها ، ولـكنى لاأستطيع أن أعزم على تدوينها ونشرها بين الناس ، كما تريد » . ومن المحتمل أن هذا التصريح يرجع إلى فترة متقدمة على التصريح المذكور آنفا، وأنه يعنى: « مادمنا مضطرين إلى جعل كتبنا فى متناول الأمراء ، فلا يوجد إذن مايدعو إلى منعها عن الآخرين » . ومع ذلك فقد أبعد الزهرى فى هذا الاتجاه حتى عِيبَ عليه[2] ، لسماحه بانتقال مجلد يحوى أحاديث مروية عنه ، أُعطِى إليه ليُجيزه ، فسمح بانتقاله إلى الأجيال القادمة ، دون أن يلقى النظر فيه بادئ بدء . وتقول إحدى الروايات : إن إبراهيم بن الوليد هو الذى حصل على هذه الإجازة ، ولا يمكن أن تعنى هذه الرواية إبراهيم الذى صار خليفة فيما بعد ، كما بين جولد تسيهر كل التبيين[3] . ومهما كان الأمر ، فإنه كان من الممكن بهذه الطريقة ، إخراج أخبار لم يسمع بها الزهرى أبدا ، وإن كانت تحمل اسمه ؛ ولـكننا لانقبل أنه وضع أحاديث ليؤيد بها دعاوى الأمويين .

ونعرف من قول لمعمر تلميذ الزهرىّ ، أنه وجدت فى مكتبة الأمويين

---

(١) الذهبى ٦٨ .

(٢) نفس المرجع ٦٩ : وقال أنس بن عياض ، عن عبيد الله بن عمر ، قال : كنت أرى الزهرى يعطى الـكتاب ، فلا يقرؤه ولا يقرأ عليه ، فيقال له : تروى هذا عنك ؟ فيقول : نعم .

(٣) جولد تسيهر : دراسات إسلامية ٢ : ٣٨ ، الملاحظة ٢ .

بدمشق أكوام من المجلدات التى احتوت على المادة العلمية التى جمعها الزهرى . وهاك نص قوله[1] : « كنا نرى أنا قد أكثرنا عن الزهرى ، حتى قتل الوليد ، فإذا الدفاتر قد حملت على الدواب من خزائنه ، يقول (معمر) : من علم الزهرى » . وتشير العبارة إلى مابعد مقتل الوليد الثانى عام ١٢٦ هـ . ونحن نعرف أن الوليد خصم للزهرى ، ولكنه لم يوجد ما يدعوه إلى القضاء على الملاحظات التى كتبها أو أملاها الزهرى بأمر من أسلافه . وليس لقول امرأة الزهرى إلا بعض الأهمية القصصية ؛ بالنسبة لقول معمر ، الذى يسمو إلى درجة الشاهد التاريخى ، إذ قالت : « لهذه الكتب أشد علىّ من ثلاث ضرائر ! » وهو قول لايوجد إلا فى المراجع المتأخرة[2] ، أضف إلى ذلك أنه لايقصد إلا مدوّناته لاستعماله الخاص ، لامدوناته التى وهبها للجمهور أو لزواره الخاصين .

ويخبرنا[3] الزهرى نفسه أنه كتب لجده «أسنان الخلفاء» وهى قائمة حولية ، وعى منها الطبرى اقتباسين[4] . ويقول أيضا[5] إنه بدأ كتابا عن القبائل

---

(١) ابن سعد ٢ : ١٣٦ . وانظر أيضا الذهبى ٧١ .

(٢) ابن خلكان ١ : ٥٧١ : وكان إذا جلس فى بيته وضع كتبه حوله ، فيشتغل بها عن كل شىء من أمور الدنيا ، فقالت له امرأته يوما : والله لهذه الكتب أشد على من ثلاث ضرائر . وانظر أيضا أبا الفدا ١ : ٤٥٦ .

(٣) الطبرى ٢ : ٤٢٨ .

(٤) نفس الموضع : فكان فيما كتب من ذلك : ومات يزيد بن معاوية ، وهو ابن تسع وثلاثين ، وكانت ولايته ثلاث سنين وستة أشهر فى قول بعضهم ، ويقال ثمانية أشهر؛ نفس المرجع ١٢٦٩ : فقال الزهرى فى ذلك : ما حدثت عن ابن وهب ، عن يونس ، عنه : ملك الوليد عشر سنين إلا شهرا .

(٥) الأغانى ١٩ : ٥٩ : قال المدائنى فى خبره : وأخبرنى ابن شهاب قال :

العربية الشمالية ، بأمر من خالد بن عبد الله القسرى ، ولكنه لم يتمه . ومن الواضح أن قرة بن عبد الرحمن يعنى هذا الكتاب حين يقول : « لم يكن للزهرى كتاب إلا كتاب نسب قومه » . وأمر خالد الزهرىَّ أيضا بكتابة السيرة له[١] .

وإذن ألف الزهرى ، إلى جانب مجموعات المادة المدونة لاستعماله الخاص ، كتبا بأمر من خالد أو من الأمويين . وكتب سيرة أيضا ، ولكن لم يصل إلينا كتاب مستقل له ؛ وإنما يوجد فى مجموعة الأحاديث (المسماة «الزهريات») التى رواها وجمعها كتاب متأخرون ، عدد كبير من الفقرات التى استعارتها كتب مترجمى النبى والكُتّاب عن تاريخ الإسلام الأول . وقد تناول الزهرى ، كما تبين مقتبسات ابن سعد خاصة ، جميع حياة النبى ، لا المغازى بالمعنى الخاص وحدها . واستخدم الزهرى نفسه لفظ السيرة ليصف الكتاب[٢] الذى كتبه بأمر خالد[٣] .

= قال لى خالد بن عبدالله القسرى : اكتب لى النسب ، فبدأت بنسب مضر ، وما أتممته ، فقال : اقطعه ، قطعه الله مع أصولهم .

(١) الأغانى ١٩ : ٥٩ : قال : واكتب لى السيرة ، فقلت له : فإنه يمر بى الشىء من سيرة على بن أبى طالب — صلوات الله عليه — فأذكره ، فقال : لا إلا أن تراه فى قعر الجحيم .

(٢) انظر « فيك » : محمد بن إسحاق ٢ ، الملاحظة ٢٤ .

(٣) يبدو أن الزهرى كانت له كتب أخرى لم يصل إليها الأستاذ هوروفتس ، إذ يقول شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوى فى كتاب « الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ » : وروى يونس بن يزيد مشاهد النبى صلى الله عليه وسلم عن الزهرى — ح .

ويصدِّر الزهرى عامة أحاديثه بالإسناد ولكنه يحذفه فى كثير من الأحيان أيضا . وحينما يجمع عدة روايات ، تختص جميعا بحادثة واحدة ، ينشئ من هذه الروايات المختلفة خبرا جماعيا ، يصدّره بأسماء الرواة مجتمعين[1] . ويدخل فى أخباره فى الغالب أشعار الممثلين فى الحوادث الموصوفة . ورأينا آنفا أنه كان ذواقا للشعر ، ويروى حماد بن زيد أن الزهرى كان يقول ، بعد أن يروى الحديث : « هاتوا من أشعاركم وأحاديثكم[2] ، فإن الأذن تجّاجة ، والنفس حَمْضة » .

---

(١) انظر ابن هشام ٣ : ٣٠٩ ، والطبرى ١ : ١٥١٨ ، ومسند أحمد ٢ : ١٩٤ ، والبخارى : صحيح ، حديث الإفك .

حدثنى الزهرى عن علقمة بن وقاص ، وعن سعيد بن جبير ، وعن عروة بن الزبير وعن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة ، قال : كل قد حدثنى بعض هذا الحديث ، وبعض القوم كان أوعى له من بعض ، وقد جمعت لك الذى حدثنى القوم .

(٢) الذهبى ٧٣ .